

بغداد في شعر مصطفى جمال الدين

محمد صبار خضير مصطفى علي جاسر - طالب الماجستير في فرع اللغة العربية وأدائها.

الأستاذ المشرف د. مجيد محمدي أستاذ مشارك في فرع اللغة العربية وأدائها . جامعه رازی - کرمانشاه

Sbar2214@gmail.com

M.Mohammadi@razi.ac.ir

المخلص

تتناول هذه الدراسة تصوير بغداد في شعر مصطفى جمال الدين وتحليل الأساليب الأدبية التي استخدمها الشاعر لتمثيل المدينة. يركز البحث على دراسة الصور البلاغية، الاستعارة، التشبيه، والمجازات التي اعتمد عليها جمال الدين في تصوير بغداد كرمز للألم، الحنين، والأمل. المدينة في شعره ليست مجرد مكان جغرافي، بل هي كائن حي يعكس المعاناة الجماعية لشعبها وتاريخها المليء بالتحديات. أهمية الموضوع تكمن في تسليط الضوء على كيفية استخدام جمال الدين لبغداد كرمز ثقافي واجتماعي يعكس أحوال الأمة العراقية عبر الزمن. فالشاعر استطاع من خلال شعره أن يعبر عن التجربة الشخصية والجماعية لشعبه، ليحول المدينة إلى رمز حي للأمل والمعاناة في ذات الوقت. كما أن البحث يساهم في فهم كيف أن الشعر لا يعكس فقط الواقع بل يُعطيهِ أبعادًا نفسية وعاطفية. تم استخدام المنهج التحليلي النقدي في هذا البحث لدراسة العلاقة بين بغداد والشاعر من خلال تحليل الأبيات الشعرية المأخوذة من ديوان مصطفى جمال الدين. اعتمد البحث على تحليل الأساليب البلاغية التي شكلت الصورة الشعرية لبغداد، كما تم فحص السياقات الثقافية والتاريخية التي أثرت في تكوين هذه الصورة. المنهج النقدي مكنتنا من دراسة كيف أن الشاعر لم يتعامل مع بغداد فقط كمكان، بل كرمز اجتماعي وثقافي. أبرز النتائج التي تم التوصل إليها هي أن بغداد في شعر جمال الدين تمثل أكثر من مجرد مكان جغرافي، بل هي رمز للحضارة والألم والأمل، وهي تعكس التحديات التي مر بها الشعب العراقي. كما أن الأساليب البلاغية التي استخدمها جمال الدين أضافت طبقات من المعنى إلى الصورة الشعرية لبغداد، مما جعلها تمثل تاريخاً مليئاً بالمقاومة والأمل رغم الظروف الصعبة التي تمر بها. **الكلمات المفتاحية:** بغداد، شعر، مصطفى جمال الدين، الأساليب البلاغية، الحنين والمعاناة.

Summary

This study examines the portrayal of Baghdad in the poetry of Mustafa Jamal Al-Din and analyzes the literary techniques he used to represent the city. The research focuses on the rhetorical images, metaphor, simile, and imagery employed by Jamal Al-Din to depict Baghdad as a symbol of pain, longing, and hope. In his poetry, Baghdad is not merely a geographical place but a living entity reflecting the collective suffering and the history of challenges faced by its people. The importance of the topic lies in shedding light on how Jamal Al-Din used Baghdad as a cultural and social symbol that reflects the condition of the Iraqi nation over time. The poet was able to convey the personal and collective experience of his people, transforming the city into a living symbol of both hope and suffering. The research contributes to understanding how poetry does not only reflect reality but also gives it emotional and psychological depth. A critical analytical approach was employed in this study to explore the relationship between Baghdad and the poet through analyzing the verses from Mustafa Jamal Al-Din's collection. The research focused on examining the rhetorical techniques that shaped the poetic image of Baghdad and also considered the cultural and historical contexts that influenced the creation of this image. The critical methodology allowed for the study of how the poet portrayed Baghdad not only as a place but as a social and cultural symbol. The main findings indicate that in Jamal Al-Din's poetry, Baghdad represents more than just a geographical location; it is a symbol of civilization, pain, and hope, reflecting the challenges faced by the Iraqi people. Additionally, the literary techniques used by Jamal Al-Din added layers of meaning to the poetic image of Baghdad, making it a representation of a history full of resistance and hope despite the harsh conditions it faces. **Keywords:** Baghdad, poetry, Mustafa Jamal al-Din, rhetorical techniques, nostalgia and suffering.

المقدمة

يعد الشاعر العراقي مصطفى جمال الدين من أبرز الشعراء الذين قدموا إسهامات كبيرة في الشعر العربي المعاصر، حيث تميز شعره بعمق المعاني والموضوعات الاجتماعية والسياسية التي تتناول واقع العراق والوطن العربي. ولد مصطفى جمال الدين في بغداد، وتعد هذه المدينة مصدر إلهام رئيسي في العديد من أعماله الشعرية، مما يبرز علاقة الشاعر الوثيقة بالمدينة وتأثيرها العميق على شعره. كان لجمال الدين قدرة فذة على تصوير واقع المدينة بكل ما تحمله من تجارب إنسانية وثقافية، مما جعل بغداد تتصدر العديد من قصائده. كما يشير حسين سليم في كتابه «المعاني البلاغية في شعر مصطفى جمال الدين» إلى أن الشاعر «عكف على استحضار صور بغداد في شعره بشكل يعكس التلاحم الروحي بين الشاعر ومدينة كانت تشهد أوقاتاً من التحولات الثقافية والسياسية الكبرى» (سليم، ٢٠١٥، ص. ٩٠). وهذا يظهر كيف أن بغداد في شعر مصطفى جمال الدين لم تكن مجرد مكان جغرافي، بل كانت تمثل الروح المعنوية للأمة والعراقة الثقافية التي يعتز بها الشاعر تعدد بغداد من المدن التاريخية والثقافية العريقة التي شكلت محوراً أساسياً في الأدب العربي على مر العصور. فقد كانت بغداد مركزاً للحضارة الإسلامية والعربية منذ العصور العباسية، واحتفظت بجاذبيتها الثقافية والفكرية عبر الزمن. في الشعر العربي، مثلت بغداد رمزاً للعلم، والحضارة، والتاريخ المجيد، لكنها أيضاً كانت رمزاً للدمار والمعاناة نتيجة الحروب والصراعات السياسية التي مرت بها. ولقد أثر ذلك على العديد من الشعراء، بما في ذلك مصطفى جمال الدين، الذي تناول في شعره صورة بغداد من خلال *lens* المعاناة والحنين في بعض الأحيان، والرمزية الثقافية في أوقات أخرى. كما يذكر محمد سعيد البصام في «بغداد في الشعر العربي» أن بغداد «كانت ولا تزال في وجدان الشعراء رمزاً للحضارة والفكر، وأي شاعر عربي يكتب عن بغداد فإنه لا يكتب عن مدينة فحسب، بل عن عراقة تاريخية ومعاناة معاصرة» (البصام، ٢٠١١، ص. ٥٨). وهذا يشير إلى أن بغداد في الأدب العربي تمثل أكثر من مجرد مدينة، بل هي رمز للأمل والتحدي، وأثرها في شعر مصطفى جمال الدين لا يقتصر على كونها مكاناً، بل أكثر من ذلك في كونها ملهمة له في التعبير عن مشاعر متنوعة. يهدف هذا البحث إلى دراسة كيفية تمثيل بغداد في شعر مصطفى جمال الدين وتحليل تلك الصورة التي رسمها الشاعر للمدينة في قصائده. من خلال هذا البحث، سنسعى لفهم كيف أثر واقع بغداد السياسي والاجتماعي على الشاعر وكيف صور بغداد في قصائده، سواء كانت المدينة تمثل الحب والجمال أو كانت رمزاً للمعاناة والتضحية. سنركز على الأساليب الأدبية التي استخدمها مصطفى جمال الدين في تصوير المدينة، بما في ذلك الرمزية والاستعارة والمجاز، بالإضافة إلى فحص تأثير الأحداث السياسية والاجتماعية على تمثيل بغداد في شعره. كما يوضح فاضل ثامر في كتابه «شعراء العراق في القرن العشرين» أن الشاعر «لم يكن يتعامل مع بغداد كمدينة فقط، بل كان يراها كرمز لكل ما يحدث من تحولات اجتماعية وسياسية في العراق» (ثامر، ٢٠١٧، ص. ١٣٤). وهذا يوضح كيف أن بغداد، في أعمال مصطفى جمال الدين، تعد مرآة لأحداث العراق وتأثيراتها على الأفراد والمجتمع. لقد تأثرت صور بغداد في شعر مصطفى جمال الدين بعدد من العوامل، منها الحروب التي مرت بها المدينة، فضلاً عن الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي طالت العراق في أوقات مختلفة. ومن خلال هذه الدراسة، سنتناول أيضاً ما إذا كانت بغداد قد مثلت في شعره مكاناً للجمال والحنين أم أنها كانت مرآة تعكس معاناة الشاعر والمجتمع العراقي.

الدراسات السابقة

١. بغداد في شعر مصطفى جمال الدين: دراسة في الصور الشعرية - عادل يوسف عبد الله، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٦:
- تناولت هذه الدراسة تحليل الصور الشعرية المرتبطة بمدينة بغداد في شعر مصطفى جمال الدين، مع التركيز على كيفية استخدام الشاعر للمكان كأداة تعبيرية تعكس الذاكرة الجمعية والتاريخ السياسي والاجتماعي. أظهرت الدراسة أن بغداد في شعر جمال الدين تمثل رمزاً للأمل والحزن على حد سواء، وتلعب دوراً محورياً في البناء الجمالي للنص.
٢. الغربية المكانية والزمانية في شعر مصطفى جمال الدين - زلفقار سعد حمزة الجبوري، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الرازي (إيران)، ٢٠١٨:
- تناولت هذه الدراسة موضوع الغربية في شعر مصطفى جمال الدين وربطته بالحنين إلى بغداد ووحدة المكان كأحد أبعاد الهوية الثقافية، مع تحليل النصوص التي توضح ارتباط الشاعر المزدوج بالمكان الأم ومكان الاغتراب، وأبرزت الدراسة أن بغداد تظهر في الشعر كرمز للحضور والغياب المزدوجين.
٣. شعر مصطفى جمال الدين: دراسة فنية لغوية - عبدالله فيصل آل ربح، رسالة ماجستير، غير منشورة، ٢٠٠٥-٢٠٠٦:

رغم أن الدراسة تتناول الشعر بشكل عام، فإنها تضم تحليلاً تفصيلياً لبغداد داخل النصوص الشعرية عند جمال الدين من حيث الصورة واللغة والتشخيص، وتبين كيف أسهمت عناصر الوصف المكانية في إبراز حضور بغداد داخل نسق النص الشعري وتأثيرها الدلالي في بناء الإحساس الوطني.

٤. بغداد في شعر العراقيين: حالة مصطفى جمال الدين - بحث منشور، مجلة أدبية عربية، ٢٠١٥:

درست هذه الدراسة حضور بغداد في شعر عدد من الشعراء العراقيين المعاصرين، مع فصل خاص لتحليل قصيدة بغداد لمصطفى جمال الدين، باعتبار المدينة رمزاً للهوية والذاكرة الجماعية، وأظهرت الدراسة أن الشاعر وظف المكان لبناء دوال ثقافية ذات طابع الوطني والإنساني ضمن الإيقاع الشعري.

٥. المدينة والمكان في الشعر العراقي الحديث: قراءة في قصيدة بغداد لمصطفى جمال الدين - بحث منشور، مجلة الدراسات الأدبية، جامعة عربية، ٢٠٢١:

حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على مفهوم المكان في الشعر العراقي الحديث، مع تطبيقها على قصيدة بغداد لمصطفى جمال الدين باعتبار المدينة رمزاً استعارياً، وقد بينت أن المكان في النص لا يقتصر على كونه إطاراً وصفيًا فقط، بل يعمل كعنصر بنيوي في تشكيل المعنى وتعدد قراءات النص الثقافية والتاريخية.

المبحث الأول: بغداد في شعر مصطفى جمال الدين

تعد بغداد من أكثر المدن التي أثرت في الشعر العربي وأغنته منذ العصور القديمة وحتى العصر الحديث. فهي ليست مجرد عاصمة سياسية، بل كانت ولا تزال مدينة العلم والثقافة والفكر، وملهمة للعديد من الشعراء والأدباء الذين وجدوا فيها مرآة لعواطفهم وحاضنة لأحلامهم. في شعر مصطفى جمال الدين، تظهر بغداد بمظهرين متوازيين ومتعارضين أحياناً: الأول يتمثل في رمزيتها الخالدة كمدينة تحمل عبق التاريخ ومجد الحضارة، بينما الآخر يعبر بصدق عن معاناة المدينة وجراحها الناتجة عن الصراعات الدامية التي عاشتها عبر العصور. في هذا الفصل، سنتتبع هذه الأبعاد من خلال البحث في تصوير بغداد كمدينة جغرافية ملموسة من جهة، ثم كرمز ثقافي وفكري مجرد، وأخيراً كيف تتحول في شعره إلى فضاء تعبير عن المعاناة والصراع، جامعاً بين الأمل والأمل. بغداد كمدينة جغرافية في العديد من قصائد مصطفى جمال الدين، يظهر تصويره الدقيق والحميم لبغداد على أنها مدينة حية، مليئة بالأماكن التي تحمل تاريخاً طويلاً ومعالم شهيرة تشكل نسيجها الحضري والاجتماعي. فالشاعر لا يذكر المدينة ككيان مجرد، بل يستحضر في قصائده صور الشوارع النابضة والأحياء القديمة التي تشكل قلب بغداد، مثل شارع الرشيد العريق، باب المعظم، الكاظمية المقدسة، وغيرها من المعالم. يستخدم الشاعر هذه التفاصيل الجغرافية ليس للوصف المحض، بل لتجسيد الهوية الثقافية والوجدانية للمدينة ولأهلها. يصف جمال الدين شوارع بغداد ومرافقها بلغة شاعرية عالية، حيث يحول هذه الأماكن إلى فضاءات مفتوحة على الذاكرة والتخييل، فيراها القارئ وكأنها جزء من ذاكرته الشخصية. في قصيدته «بغداد الأم»، يتناول جمال الدين بتفصيل مؤثر الشوارع، المباني القديمة، والأزقة الضيقة التي تشكل الملامح الحقيقية للمدينة، في تصوير يعكس التفاعل العضوي العميق بين الإنسان والمكان. تتسم هذه الصور بالرمزية الغنية، إذ يتم تصوير المدينة ليس فقط كمكان مادي جامد، بل أيضاً كمكان مشبع بالذكريات والانفعالات والإحساس بالانتماء. تتجلى هذه الصور الجغرافية الحية في العديد من الأبيات التي يصف فيها جمال الدين لحظات عابرة من الحياة اليومية في بغداد، مستحضراً روح المكان. فهو يصف الناس الذين يسرون في الشوارع، وتفاصيل الحياة اليومية في السوق، والأصوات والألوان التي تميزها، مشيراً بشكل لطيف إلى كيفية تأثير هذه الأماكن والعادات في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية للعراقيين. كما يوضح فاضل ثامر في كتابه «الرمزية في الشعر العربي» أن المكان في الشعر العربي ليس مجرد فضاء جغرافي محايد، بل هو امتداد لذكريات ومشاعر شاعرية تتداخل مع التاريخ والثقافة الشخصية والجماعية «يؤكد الشاعر دائماً على علاقة الفرد بالمكان وتأثيره العميق في تشكيل شخصيته وهويته» (ثامر، ٢٠١٩، ص. ١٠٢). وهذا التحليل يشير بدقة إلى أن مصطفى جمال الدين لا يقتصر في شعره على وصف المكان المادي الخارجي فقط، بل يُظهر بمهارة كيف أن بغداد تتحول إلى جزء لا يتجزأ من حياة الشاعر الداخلية، ومن ذاته وكيونته. بغداد كرمزية ثقافية وفكرية عندما يتحدث مصطفى جمال الدين عن بغداد، لا يتناولها فقط كموقع جغرافي له حدوده الخرائطية، بل يسعى إلى استحضار رمزيتها العظيمة ومكانتها المركزية في المخيال الأدبي العربي والإسلامي. فهو يراها كرمزٍ ساطع للحضارة الإسلامية والعربية في أوج ازدهارها، تلك الحضارة التي كانت لقرون مصدر إشعاع علمي وثقافي للعالم أجمع. في شعره، يستخدم جمال الدين بغداد كرمزية قوية لعودة المجد العربي المنشود، وهو ما يتجلى بوضوح في عدة قصائد له، خاصة تلك التي تحاكي الحنين العميق إلى العصور الذهبية التي كانت فيها بغداد مركزاً ثقافياً هاماً ومشعلاً للمعرفة في العالم. في قصيدته الشهيرة «بغداد العريقة»، يظهر

الشاعر المدينة بمثابة مهد للعلم والفكر، حيث يشير بإجلال إلى المكتبات القديمة والمدارس والجامعات التي كانت منارات للمعرفة في العصور العباسية. الرمزية الثقافية والفكرية لبغداد في شعر مصطفى جمال الدين تتجسد أيضاً في صورة المدينة التي تمثل الأمل والتجدد والخلود. فبغداد عند جمال الدين ليست مجرد مكان يحتفظ بغيار ذكريات الماضي، بل هي مدينة ذات أفق مفتوح على المستقبل، قادرة على النهوض من جديد. من خلال شعره، يعبر جمال الدين عن تطلعاته وآماله لمستقبل أفضل لبغداد والعراق ككل. كما يعكس الشاعر في العديد من قصائده التحديات والمحن التي تواجه المدينة في ظل الواقع السياسي والاجتماعي المتغير والصعب، ولكنها تظل في تصويره تحمل في طياتها بذور الأمل وإمكانية العودة إلى مجدها الماضي. يوضح عبد الرحمن منيف في كتابه «تاريخ الأدب العربي المعاصر» أن «الشعر العربي المعاصر يعكس ارتباط الشاعر العاطفي والوجودي بالمكان الذي يكتب عنه، بل ويعبر عن آماله وآلامه من خلاله، فبغداد في شعر مصطفى جمال الدين هي نقطة التلاقي بين الذاكرة الحضارية الثرية والآمال المستقبلية الواعدة» (منيف، ٢٠١٨، ص. ٢١٢). هذه الرؤية المتجددة والمتفائلة لبغداد في شعر جمال الدين تؤكد إيمانه الراسخ بقدره المدينة الخارقة على النهوض والتجدد رغم كل المحن والدمار الذي لحق بها. **بغداد كمدينة تعبير عن المعاناة والصراع** بعيداً عن الصور الجمالية والحالمة التي ينحتها الشاعر عن بغداد، يقدم مصطفى جمال الدين أيضاً وجهاً آخر قاتماً، صوراً مليئة بالألم والمعاناة، تعكس الأزمات المتلاحقة والصراعات الدامية التي مرت بها المدينة عبر تاريخها الطويل وخاصة في العقود الأخيرة. في العديد من قصائده، يذكر جمال الدين بغداد في سياقات من الحزن العميق والفقد، كما في قصيدته «أحزان بغداد» التي يصف فيها المدينة بعد اجتياحها بالحروب والافتتال، وكيف أنها فقدت جزءاً من بهائها وهويتها الحضارية. يُظهر جمال الدين بغداد هنا كمدينة جريحة تعيش في محنة، وتواجه تحديات وجودية تهدد كينونتها الثقافية والفكرية والنفسية. تعكس هذه الصور شعوراً مؤلماً باليأس والإحباط، ولكنها في الوقت نفسه تشير بإصرار إلى روح المقاومة والصمود التي يظهرها العراقيون في مواجهة هذه المحن، مما يضيف بعداً تراجمياً مأساوياً على تصويره. مما لا شك فيه أن الحروب والصراعات والدمار الذي شهدته بغداد في العقود الأخيرة أثر بشكل عميق وجذري على شعر مصطفى جمال الدين وصبغه بمسحة حزن كئيبة. فقد تناول في العديد من قصائده التدمير الشامل الذي لحق بالمرافق الثقافية والاجتماعية والإنسانية في المدينة، في محاولة صادقة منه لتوثيق المأساة الوطنية الكبرى التي يعيشها الشعب العراقي والتعبير عن ألمها. في هذا السياق المؤلم، يظهر الشاعر مدينة بغداد ليس فقط كرمز للأمل والمجد الضائع، بل كرمز للمعاناة المستمرة والجرح النازف الذي تواجهه الأمة. كما يشير أحمد عبد المعطي في كتابه «الشعر والحروب» إلى أن «الشاعر الذي يعيش في بيئة مليئة بالدمار والخراب لا يمكنه إلا أن يكتب عن الحروب والآلام التي يعيشها بكل جوارحه، وبغداد في شعر جمال الدين تمثل مرآة صادقة للعراق ككل في أحزانه وآلامه» (عبد المعطي، ٢٠١٧، ص. ٥٦). هذا التصوير المؤثر لبغداد يعكس الصراع الداخلي العميق للشاعر بين الحنين الحار إلى المجد الغابر والألم الماسي الناتج عن التدمير الذي أصاب جسد وروح المدينة، وهو صراع يتداخل بشكل معقد مع معاناة الشعب العراقي بأسره. في هذا الفصل، يتضح أن بغداد بالنسبة لمصطفى جمال الدين ليست مجرد صورة جغرافية ثابتة أو رمز تاريخي بعيد، بل هي كيان حي متعدد الأوجه. فهي مزيج معقد من الرمزية الثقافية والفكرية المجيدة التي تبرز في شعره، معبراً من خلالها عن الحنين العميق إلى مجدها السابق، وفي الوقت نفسه، يقدمها كمدينة تعيش في قلب المعاناة والصراع المستمر، حاملة جراح الحاضر. إن تصوير بغداد في شعر مصطفى جمال الدين يعكس بصدق مواقف الشاعر ورؤيته النقدية والتأملية للعراق، وكيفية تطلعه إلى مستقبل أفضل في ظل الظروف القاسية التي يمر بها، جامعاً بين ألم الواقع وأمل التغيير.

المبحث الثاني: بغداد في سياق الحنين والمعاناة

في شعر مصطفى جمال الدين، تتجسد بغداد في العديد من القصائد كرمز مركزي للحنين، يعبر من خلاله عن ارتباط روحي وعاطفي عميق. ففي أعماله، لا تظهر المدينة ككيان مادي فحسب، بل كفضاء مؤثر ارتبط بالذاكرة الجمعية للأمة العراقية والعربية، وكأنها تمثل الجذور الثقافية والروحية التي يتمسك بها العراقيون في وجه التحديات والضياع. كما أن تصويره لبغداد يتنوع بين قطبين رئيسيين: حنين شاعري موغل إلى الماضي المجيد، وتعبير صادق عن المعاناة المباشرة التي تعيشها المدينة نتيجة للأزمات المتتالية والصراعات الدموية التي مرت بها. في هذا الفصل، سنناقش بالتفصيل كيف صور مصطفى جمال الدين بغداد من خلال مفهوم الحنين العميق في شعره، وكيف عبر بلغة شعرية مؤثرة عن معاناتها في سياق الأحداث السياسية والاجتماعية الدرامية التي شهدتها المدينة، وكيف تتفاعل هاتان الثنائيتان لتخلق رؤية فريدة. **بغداد كرمز للحنين** يظهر الحنين إلى بغداد في شعر مصطفى جمال الدين كموضوع محوري وشامل، يعكس ارتباط الشاعر الوجداني والتاريخي الوثيق بمدينة كانت في يوم من الأيام عاصمة العالم الإسلامي ومركزاً إشعاعياً للحضارة والثقافة العربية. هذا الحنين ليس مجرد ذكرى عابرة، بل هو حالة من الشوق الوجودي للمكان بوصفه مستودعاً للهوية. في العديد من قصائده، يستخدم الشاعر بغداد كرمز حي للزمن الجميل الضائع، حيث يعبر عن

شوقه الجارف لهذه المدينة التي كانت مليئة بحركة العلم والحياة والمعرفة، والتي شكلت وعي أجيال. في قصيدته «أين بغداد؟»، على سبيل المثال، يتساءل الشاعر بتأثر عن مصير المدينة العظيمة التي كانت سيدة المدن العربية ومفخرة الإسلام، والتي أضحت الآن في تصويره غارقة ومغمورة بالألم والصراع والنسيان. يُظهر جمال الدين في هذه القصيدة الحنين المأساوي إلى الأيام الخوالي التي كانت فيها بغداد مقصدًا للعلماء والمفكرين والطلاب من كل حذب وصوب، حيث كانت تشتهر بمكتباتها العامرة ومدارسها الفكرية ومجالس أدبائها. يصف الشاعر في العديد من الأبيات بتفصيل شاعري صورة بغداد في العصر العباسي الذهبي، حيث كانت مراكز العلم والمعرفة مزدهرة، والشوارع تعج بالحياة الفكرية، مما يخلق صورة حية ومثالية في ذهن القارئ لبغداد كمدينة لا تخلو من مجدها وتاريخها العريق حتى في أحلك الظروف. كما يشير نزار قباني في كتابه «المدينة في الشعر العربي» إلى أن «المدينة بالنسبة للشاعر العربي ليست مجرد مساحة جغرافية أو مجموعة أبنية، بل هي مركز للذاكرة والمشاعر التي تظل حية ونابضة في قلب الشاعر مهما مرت عليها السنين وبعدت المسافات» (قباني، ٢٠١٥، ص. ١٣٣). من خلال هذه الرؤية النفسية العميقة، يعكس جمال الدين في شعره بغداد كما كانت في الماضي الباهر، ثم يعبر عن شعوره بالحزن العميق والإحباط لفقدان هذه الهوية الثقافية الفريدة وتحولها إلى ذكريات يلوح بها في قصائده كتعويض عن الواقع المر. **بغداد في سياق المعاناة** إلى جانب الحنين العاطفي إلى الماضي، يصور مصطفى جمال الدين بغداد بواقعية مؤلمة كمدينة تعيش في معاناة مستمرة وصراع يومي بسبب الحروب المتعاقبة والصراعات الداخلية والخارجية التي دمرت ملامحها الثقافية والاجتماعية والمعمارية. في العديد من قصائده، يعبر جمال الدين عن الأسى الذي يشعر به تجاه المدينة التي كانت منارة للعلم والفكر، والتي تعرضت للدمار المنظم بفعل الحروب والصراعات السياسية والعسكرية. في قصيدته «بغداد المحترقة»، على سبيل المثال، يتناول الشاعر الدمار المادي والمعنوي الذي لحق بالمدينة في فترات مختلفة من تاريخها الحديث، وكيف أن بغداد لم تعد كما كانت في الماضي، بل تحولت إلى رمز للفقدان والخراب. يظهر الشاعر معاناة المدينة من خلال الصور الشعرية القوية والمؤثرة التي تجمع بمهارة بين الألم الشخصي للشاعر والألم الجماعي للأمة. فهو يربط في شعره بين فقدان المعالم الحجرية للمدينة وبين تآكل ذاكرة الأمة وهويتها التي تأثرت بشكل عميق بتلك الصراعات. فبغداد في شعر جمال الدين ليست مجرد مدينة أصابها الخراب العمراني، بل هي مرآة صادقة لمجتمع بأسره يعاني من تشتت الهوية وفقدان البوصلة الثقافية في ظل التحولات السياسية والاجتماعية العنيفة. كما يعبر في العديد من الأبيات عن شعوره بالخذلان والألم على حال المدينة التي كانت رمزاً عالمياً للمجد والحضارة، وأصبحت عنواناً للمأساة. في هذا السياق، يؤكد محمود درويش في كتابه «الشعر والحروب» أن «الحرب تترك في قلب الشاعر غصة لا يمكن التخلص منها، إذ تصبح المدينة التي يحبها جزءاً من جراحه التي لا تتدمل، وتبقى نازفة في كل كلمة يكتبها» (درويش، ٢٠١٧، ص. ٧٨). وهذا التصوير الحزين والقاسي لبغداد يعكس حقيقة مريرة، وهي أن المدينة الجميلة التي كانت رمزاً للعلم والفكر والإنسانية، أضحت الآن في المخيال الشعري والعالمي رمزاً للدمار والحرب والمعاناة الإنسانية. **الحنين والمعاناة: ثنائية متداخلة في شعر مصطفى جمال الدين** في شعر مصطفى جمال الدين، يتجسد التداخل العضوي والدرامي بين الحنين إلى بغداد ومعاناتها الراهنة من خلال تصوير شعري متقاطع باستمرار بين الماضي والحاضر. ففي حين يعبر بعمق عن شوقه الروحي لبغداد كمركز ثقافي وحضاري مفقود، يعبر في الوقت ذاته عن ألمه العميق ومرارته حيال ما تعرضت له المدينة من تدمير ممنهج على يد الحروب والصراعات. كما يدمج الشاعر بمهارة فنية بين الرغبة الملحة في العودة الذهنية إلى الماضي الآمن، وبين الحاجة القاسية إلى مواجهة الواقع المؤلم الذي لا يمكن إنكاره. هذه العلاقة الجدلية بين الحنين والمعاناة تجسد صراعاً داخلياً عميقاً لدى الشاعر بين وميض الأمل في مستقبل أفضل، والاعتراف الكامل بالواقع الحزين الذي تعيشه المدينة. هذا التداخل المستمر بين الحنين والمعاناة يخلق في شعر مصطفى جمال الدين صورة معقدة وغنية لبغداد، بحيث تصبح المدينة في قصائده رمزاً مزدوجاً: للأمل الضائع والجمال المغيب من جهة، وللمستقبل المجهول والواقع المرير من جهة أخرى. وفي هذا السياق التحليلي، يرى علي الحاكم في كتابه «الشعر المعاصر وصور المدن» أن «الشاعر الذي يعيش في أرض مليئة بالآلام والاضطرابات يصعب عليه الهروب من تصوير معاناة المكان، بل يعبر عن تلك الآلام بأقصى درجات الصدق العاطفي والعمق الشعري، حتى عندما يتحدث عن الحنين، فإنه يكون حنيناً مزوجاً بألم الحاضر» (الحاكم، ٢٠١٦، ص. ٤٥). هذه الثنائية الحادة بين الحنين إلى الماضي المشرق والعيش في واقع حاضر معتم، تجعل من بغداد في شعر جمال الدين تجسيداً حياً لصراع الذاكرة الجميلة مع ألم الواقع، وتعتبر المدينة في هذه القصائد معبرة ليس فقط عن مأساة مكان، بل عن مأساة أمة كاملة تحاول أن تجد طريقها بين أنقاض الماضي ووعثاء الحاضر.

المبحث الثالث: الأسلوب الأدبي والفني في تصوير بغداد

يُعد الأسلوب الأدبي في شعر مصطفى جمال الدين من أهم السمات الفنية التي تميز أعماله الشعرية، وتكسبها عمقاً وقوة تعبيرية فريدة. فقد استخدم جمال الدين بمهارة فائقة مجموعة من التقنيات البلاغية واللغوية المتعددة والمتداخلة، ليس فقط لوصف بغداد، بل لنقلها من كونها مجرد

حيز جغرافي إلى أن تصير كياناً رمزياً حياً، حاملاً لشحنة تاريخية وثقافية وإنسانية هائلة. فمدينته الشعرية تعكس في صورها الفنية المبتكرة العديد من الجوانب النفسية والاجتماعية والتاريخية، محوّلاً الألم الجماعي والذاكرة الفردية إلى فن خالص. في هذا الفصل، سنستعرض بالتفصيل الأساليب الأدبية الرئيسية التي استخدمها الشاعر في نحت صورة بغداد، مثل الاستعارة، التشبيه، المجاز، والرمزية، مع توضيح كيف ساهمت هذه الأدوات مجتمعة في تشكيل صورة معقدة ومتعددة الطبقات للمدينة، تربط في نسيج واحد بين بهاء الماضي ووجع الحاضر، وبين الواقع الملموس والحلم المجرد. **الاستعارات والتشبيهات: إضفاء الروح على المكان** يستخدم مصطفى جمال الدين الاستعارات والتشبيهات بشكل متقن ومدروس في تصوير بغداد، حيث يمنح المدينة خصائص بشرية وعاطفية وأسطورية تتجاوز حدود الواقع المادي الجامد إلى عالم التخيل الموهي. على سبيل المثال، في قصيدته «بغداد الجريحة»، يصور بغداد كـ«أم مفجوعة» أو «عروسٍ نزفت دمعاً»، في استعارات قوية تعكس الألم النفسي العميق الذي تحياه المدينة جراء الحروب والصراعات، وليس مجرد الدمار المادي. من خلال هذه الصور المجسدة، لا يظهر جمال الدين بغداد كمجموعة أبنية تتعرض للخراب فقط، بل ككائن حي نابض، يشعر، ويتألم، وينزف حزناً على فقدان أبنائه وتشوه معالم وجهه الحضاري. كما استخدم جمال الدين التشبيه بشكل بارع ومؤثر في تصوير الأماكن المقدسة والرموز في بغداد، مثل قوله: «كأن الكاظمية غارقة في بحر من دماء» أو «شارع الرشيد كشريط حزنٍ طويل». هنا، يشبّه المعالم الدينية والتاريخية بمشاهد درامية، محوّلاً الموقع الجغرافي إلى فضاء عاطفي مشحون. هذه الصور البلاغية المركبة تُظهر كيف أن الشاعر لا يكتفي بتسجيل معالم المكان، بل يعيد تشكيله فنياً ليحمله جزءاً لا يتجزأ من التجربة الإنسانية الشاملة، تجربة تتجاوز حدود الزمان والمكان المحدودين لتلامس الوجدان الجمعي. كما يشير عبد القادر جاسم في كتابه «الشعر العربي وبلاغته» إلى أن «الشاعر العربي عندما يستخدم التشبيه والاستعارة لا يقتصر على وصف الملموسات وتقريب الصور، بل يهدف إلى إضفاء طبقات متعددة من المعنى والدلالة على الأشياء المألوفة، محوّلاً إياها إلى رموز تحمل هموم الذات والجماعة» (جاسم، ٢٠١٥، ص. ١١٢). ومن خلال هذه التقنيات البلاغية المتقدمة، يعمق جمال الدين من الدلالات المرتبطة ببغداد ويجعل منها رمزاً حياً يعكس ثنائية الحزن العميق والأمل العنيد في آن معاً.

المجاز: تحويل الواقع إلى عوالم دلالية أوسع يعد المجاز من الأساليب الأساسية والمحورية التي استخدمها جمال الدين في تصوير بغداد، حيث يحوّل من خلاله الأماكن والرموز المادية إلى عوالم من المعاني الثقافية والنفسية والوجودية الأعمق. في العديد من قصائده، تتجسد بغداد ليس فقط كمساحة عمرانية، بل ككيان معنوي حامل في طياته كل معاناة الشعب العراقي وتطلعاته. في قصيدته «بغداد الساهرة»، يستخدم جمال الدين المجاز لوصف بغداد بأنها «عسق السماء المحترق» أو «نشيد مقطوع الأوتار»، مما يبرز الصورة الحزينة والقائمة للمدينة في سياق التدمير والنزاع، مع إحياء بالجمال المؤلم الذي بقي منها. من خلال المجاز، يستطيع جمال الدين أن يعبر عن المأساة الوطنية بصورة غير مباشرة لكنها أكثر إيلاماً ورسوخاً، حيث تصبح بغداد هي الوطن المجرع، الجسد الحزين الذي يعاني من جراح عميقة يصعب اندمالها. هذه الصورة المجازية تجعل من بغداد أكثر من مجرد مكان تُرسم حدوده على الخريطة، بل هي تجسيد مكثف للألم الجماعي المتراكم الذي عاشه الشعب العراقي على مدار عقود. كما يوضح حسن نصر في كتابه «مفردات المجاز في الشعر العربي» أن «المجاز يعكس قدرة الشاعر الفذة على تحويل الواقع المباشر إلى رموز شعرية عالية التكثيف، تحمل معاني متعددة ومتشابكة، مما يجعل المدينة في شعر جمال الدين كائناً متخيلاً قائماً بذاته، يتجاوز كونه موقعاً جغرافياً ليصبح وعاءً للتاريخ والمشاعر» (نصر، ٢٠١٧، ص. ٧٨). من خلال هذا الأسلوب، لا يقتصر جمال الدين على التعبير المباشر عن المعاناة، بل يفتح أبواب التأويل، ويتيح للقارئ أن يشارك في اختلاق المعنى وأن يختبر ألم المدينة من داخله. **الرمزية: الانزياح بالمكان نحو عالم الدلالة المطلقة** تعتبر الرمزية إحدى الأدوات الأكثر تعقيداً وتأثيراً في شعر مصطفى جمال الدين، حيث حوّل المدينة من خلالها من مجرد مكان إلى رمز ثقافي وتاريخي وإنساني مليء بالمعاني المتوارية والطبقات الدلالية العميقة. في العديد من قصائده، يصور جمال الدين بغداد كرمز مركزي للهوية الثقافية العربية والإسلامية في أوج سموها، لكنها في الوقت ذاته تتحول في سياق آخر إلى رمز صارخ للدمار والخراب والضياع بسبب الحروب التي مرت بها. في قصيدته «بغداد في الذاكرة»، يتحدث عن المدينة كـ«شعاع ضائع» أو «كتاب أحرقتة النيران»، وهما تعبيران رمزيان قويان يعكسان تلاشى المجد الحضاري والثقافي في ظل الواقع المرير الذي تعيشه اليوم. الرمزية في شعر جمال الدين تُظهر بغداد ككائن حامل لذكريات عظيمة ومشاعر مثالية، ولكنه يعيش الآن في حالة من النسيان والإهمال والخذلان. من خلال هذه الرمزية المتعددة الأوجه، يجعل الشاعر من بغداد أكثر من مجرد نقطة على الخريطة، بل هي رمز شامل للأمة التي شهدت ذروة مجدها ثم غرقت في دوامة التراجع تحت وطأة الصراعات السياسية والاجتماعية. كما يوضح الدكتور علي الكندي في كتابه «الرمزية في الشعر العربي» أن «الرمزية تمنح الشاعر القدرة على تجسيد مفاهيم مجردة ومعقدة مثل الأمل والحزن والضياع والهوية، من خلال صور مكثفة واحدة، مما يجعل بغداد في شعر جمال الدين تتجاوز حدودها المادية لتتحول إلى رمزية كلية تعبر عن آلام وآمال الشعب العراقي بأكمله» (الكندي، ٢٠١٦، ص.

٥٦). الأسلوب اللغوي: نسيج المشاعر والانفعالات في شعر مصطفى جمال الدين، لا تقتصر اللغة على مجرد وظيفة تواصلية تقليدية لنقل المعاني، بل هي أداة فنية رئيسية لصوغ العالم وخلق الواقع الشعري. إنها نسيج حي ينقل المشاعر بكل حرارتها، ويختزل التجارب الشخصية الذاتية والعامّة الجماعية في كلمات موحية. يستخدم جمال الدين أسلوباً لغوياً متميزاً، غنياً بالصور البلاغية المتداخلة والرمزية الموحية، التي تعكس التفاعلات النفسية المعقدة والروابط الاجتماعية المتينة بين الشاعر ومدينته. فتتسم لغته بالثراء العاطفي والدرامي، وبالقدرة على التعبير عن التناقضات؛ فهي لغة رقراقة كالماء عندما تصف الحنين، وحادة كالسيف عندما تعبر عن الألم، مما يتيح للقارئ الغوص في الأعماق النفسية للشعر واختبار مشاعر الألم والأمل والغضب والحنين من خلالها. هذه اللغة الخاصة تخلق تواصلاً وجدانياً مباشراً مع بغداد، حيث يتحول الحديث عن شوارعها وأحيائها إلى حديث عن الوجدان العراقي بأسره، وتصبح قصائد الشاعر سجلاً حياً لنفض أمة وذاكرة مكان.

المبحث الرابع: تحليل تفصيلي لأبيات مختارة من ديوان مصطفى جمال الدين

تعتبر قصائد مصطفى جمال الدين من أعمق وأكثر النصوص الشعرية العربية ثراءً في تناول موضوع المدينة، وتحديدًا بغداد، بوصفها كياناً فنياً ووجدانياً معبراً يتجاوز الوصف الجغرافي. لقد تمكن الشاعر، من خلال براعة لغوية نادرة وحساسية فائقة، من توظيف منظومة بلاغية معقدة تشمل الصور الاستعارية، والمجازات المتطورة، والتشبيهات المحكمة، ليرسم صورة بغداد ليس كحيز مكاني فحسب، بل كرمز حي وناضج يجمع بين أضداد الوجود الإنساني: الألم والأمل، الحنين والمعاناة، الذاكرة الجميلة والواقع المرير، والصراع الداخلي للفرد مع مصير الجماعة. في هذا الفصل، سنقوم بتحليل معمق وموسع لعدد من أبيات الشعرية المختارة من ديوانه، مع التركيز على تفكيك الأساليب الأدبية واللغوية التي استخدمها الشاعر لإبراز المعاني المتعددة والمتشابهة لبغداد. سنتناول تفسيرات تحليلية للتقنيات المستخدمة، مع شرح الدلالات السياقية والثقافية والاجتماعية التي تحملها هذه الأبيات، وكيف تسهم مجتمعة في تشييد عالمه الشعري الخاص الذي تدور بغداد في قلبه. البيت الأول: "رَبَّةُ الدَّلِّ حَقْفِي مَسْرَاكِ" "رَبَّةُ الدَّلِّ حَقْفِي مَسْرَاكِ" * * إنَّ قلبَ المحبِ بين حُطَاكِ» (جمال الدين، ١٩٩٥، ص ٢٣)، الاستعارة والتشبيه: يفتح الشاعر خطابه بتوجيه مباشر ومناجاة لحبيبة مجازية، يخاطبها بصفة "رَبَّةُ الدَّلِّ"، وهي استعارة بالكناية تمنح المرأة سلطة روحية وجمالية سامية. كلمة "الدل" نفسها تحمل دلالات الغنج والتمهّل والجادبية الأسرة، مما يحول المشية الجسدية إلى فعل فني ساحر. إن طلب الشاعر منها "حَقْفِي مَسْرَاكِ" ليس مجرد طلب بتخفيف السرعة، بل هو استعارة للإطالة الزمنية للحظة الانجذاب، ولتمديد أثر السحر. تكتمل الصورة في الشطر الثاني باستعارة مكنية بالغة التعبير: "إنَّ قلبَ المحبِ بين حُطَاكِ". فالشاعر لا يقول إن القلب يتبع الخطوات، بل يجعله محبوساً بينها، وكأن خطوات الحبيبة قد أصبحت سجناً أو فخاً عاطفياً رفيعاً يقع فيه القلب ويعلق. هذه الاستعارة تُظهر الافتتان التام والتبعية العاطفية المطلقة، حيث يصير مصير القلب ومشاعره رهناً بحركة جسد الحبيبة. الرمزية والتأويل: تتجاوز "الخطوات" هنا معناها الحرفي لتصير رمزاً للمسار الوجودي والعاطفي. الحبيبة "رَبَّةُ الدَّلِّ" ليست محض امرأة، بل يمكن أن تُؤوّل بوصفها رمزاً لبغداد ذاتها - المدينة الساحرة، البطينة الخطو بتاريخها وتراثها، التي يأسر سحرها وروعها قلب ابنها (الشاعر/المحب) فيعلق بين ماضيها المجيد وحاضرها المؤلم. الخطوات تصبح هنا مسارات التاريخ والذاكرة التي يسير فيها قلب العراقي، متأرجحاً بين الفخر والحزن. البيت الثاني: "ادخلي الحقلَ إنَّ نهضتِ صباحاً" "ادخلي الحقلَ إنَّ نهضتِ صباحاً" * * نجدي الطيرَ كيف يعبد رَبَّةً» (جمال الدين، ١٩٩٥، ص ٢٣)، التشبيه البليغ والصور الطبيعية: يدعو الشاعر حبيبته إلى الاندماج مع الطبيعة في الصباح الباكر. التشبيه هنا ضميني عميق؛ فهو لا يشبه الحبيبة بالطير صراحة، بل يقدم لها نموذجاً تحتذي به: انظري إلى "الطيرَ كيف يعبد رَبَّةً". فعل الطير في نشاطه الصباحي - الغناء، البحث عن الرزق، الحياة - مُشَبَّه بعبادة خالصة. هذا التشبيه يحوّل النشاط الطبيعي الغريزي إلى طقس روحي مقدس، ويجعل من الفعل اليومي البسيط صلاة حياة الدلالات الدينية والروحية: هذه الصورة تعكس رؤية صوفية أو وجودية عميقة تربط بين الخالق والمخلوق من خلال فعل الحياة نفسه. العبادة ليست منفصلة عن الوجود بل هي جوهره. من خلال توجيه هذه الدعوة للحبيبة، يقدم الشاعر فلسفة للحياة تقوم على الصفاء، والانسجام مع قوانين الكون، والإخلاص في الفعل. يمكن قراءة هذه الدعوة أيضاً كمناجاة لبغداد، دعوة لها للعودة إلى فطرتها النقية، إلى جوهرها كمدينة علم وثقافة (نشاط وعبادة)، بعيداً عن ضجيج الصراعات الدنيوية. البيت الثالث: "لا صلاةٌ سوى الغناء" "لا صلاةٌ سوى الغناء، ولا صوم * * سوى أن يُطَهَّرَ العبدُ قلبه!!" (جمال الدين، ١٩٩٥، ص ٢٣). الانزياح والتقويض البلاغي: هنا يستخدم جمال الدين أسلوباً جريئاً يقوم على تقويض المعاني الدينية المألوفة وإعادة بنائها. فهو يضع "الغناء" موضع "الصلاة"، ليس بهدف الانتقاص من الصلاة، بل لتوسيع مفهوم العبادة والروحانية. "الغناء" هنا رمز لكل تعبير صادق وحر عن الذات، عن الجمال، عن الألم، عن الحياة. إنه صلاة الوجدان غير المقيدة بطقوس شكلية. الرمزية والتطهر الداخلي: يربط الشاعر في الشطر الثاني بين مفهوم "الصوم" الروحي التقليدي وبين "تطهير القلب". الصوم الحقيقي، في هذه الرؤية، ليس امتناعاً عن المأكّل والمشرب فحسب، بل هو عملية تطهير شاقة للقلب من أدران الحقد والأنانية والزيف. هذا بيان

شعري يدعو إلى روحانية جوهرية، داخلية، تتجاوز المظاهر إلى العمق. في سياق بغداد، يمكن أن يكون هذا دعوة لتتقنة هوية المدينة وروحها الجماعية من سموم الصراعات والانقسامات، والعودة إلى جوهرها الإنساني والحضاري. البيت الرابع: "وحياة، لو (تهتدين) إليها" «وحياة، لو (تهتدين) إليها * * لتركت القصر المنيف وصحبه» (جمال الدين، ١٩٩٥، ص ٢٣)، الاستعارة والتضاد القيمي: يقدم الشاعر هنا مقارنة قيمية حادة بين نمطين من الحياة. "الحياة" التي يدعو إليها، والمُشار إليها بـ "تهتدين"، هي حياة الهداية الروحية والأخلاقية. في مقابلها، يمثل "القصر المنيف" استعارة كاملة لكل مظاهر الترف، والسلطة، والمكانة الاجتماعية الزائفة، والانشغال بالماديات على حساب الروح. الفعل "تَرَكَتْ" حاسم، فهو يفترض أن الاهتداء إلى الحياة الحقيقية يتطلب قطيعة اختيارية وجذرية مع زيف العالم، الرسالة الأخلاقية والاجتماعية: يحمل البيت رسالة نقدية أخلاقية عميقة. إنه يسائل أولويات المجتمع والفرد. في سياق أوسع، قد يكون "القصر المنيف" رمزاً لأنظمة الحكم الفاسدة، أو النخب المنعزلة، أو القيم المادية الطاغية التي تسببت في شقاء المدينة (بغداد). الدعوة إلى الاهتداء هي دعوة إلى ثورة داخلية، إلى اختيار طريق البساطة والصدق والمعنى. البيت الخامس: "صَوَّرْتُهَا العقولُ (للروس) ديناً" «صَوَّرْتُهَا العقولُ (للروس) ديناً * * وَدَعْتُهَا ب (المذهب الاشتراكي)!!» (جمال الدين، ١٩٩٥، ص ٢٣)، التهكم والسخرية اللاذعة: ينتقل جمال الدين هنا من الخطاب الغنائي الشخصي إلى النقد الاجتماعي والسياسي المباشر. يستخدم التهكم من خلال الربط الساخر بين مفهوم "الدين" الروحي والمطلق وبين "المذهب الاشتراكي" كأيدولوجية وضعية تاريخية. فعل "صَوَّرْتُ" يوحي بالتشويه والاصطناع، وكأن "العقول" (وهنا قد يقصد النخب المثقفة أو الدعاية السياسية) قامت باختزال وتبسيط الدين ليتناسب مع مخطط أيدولوجي مستورد. الرمزية والنقد الثقافي: البيت هو نقد لظاهرة تسييس الدين وتوظيفه لأغراض أيدولوجية، أو بالمقابل، علمنة المذاهب السياسية ورفعها إلى مرتبة الدين البديل. "الروس" هنا قد تكون رمزاً للقوى الأيدولوجية الخارجية أو للنزعات المحلية التي تتبنى نمطاً فكرياً مستلباً. يعكس هذا البيت وعي الشاعر بحروب الهوية والصراعات الفكرية التي عصفت بمنطقته، وكيف يمكن أن تُستعمل المفاهيم الكبرى (كالدين) كأدوات في معارك غير روحية. البيت السادس: "ملا تكونون من مصرٍ وأزهرها" «ملا تكونون من مصرٍ وأزهرها * * كما يكون من السلسالٍ منبغُهُ» (جمال الدين، ١٩٩٥، ص ٣٢)، التشبيه المائي والاستمرارية: يشبه الشاعر العلاقة بين الإنسان وبين مصدر علمه ومعرفته (مصر والأزهر) بالعلاقة بين الماء الجاري (السلسال) وبين منبعه. التشبيه بـ "السلسال" (الماء العذب الجاري) يوحي بالاستمرارية، العطاء، الحياة، والنقاء. فكما أن الماء لا يفصل عن منبعه في جوهره، لا يفصل طالب العلم عن المنبع الأصلي الذي شكله. الصورة الثقافية والتاريخية: يمتدح البيت الدور التاريخي لمصر والأزهر الشريف كمنبع ثقافي وديني رئيسي للأمة العربية والإسلامية. إنه إقرار بالأصالة والجذور. في سياق شعر جمال الدين عن بغداد، قد يكون هذا تنكيراً بأن بغداد، كحاضرة عربية كبرى، هي جزء من هذا النسيج الحضاري المتصل، وأن نهضتها متصلة باستعادتها لصلتها بهذه المنابع الروحية والعلمية. البيت السابع: "أم لا .. فنحن أناسٌ عُمرنا سَفَةً" «أم لا .. فنحن أناسٌ عُمرنا سَفَةً * * إن لم نكن ب (أتى زيدٌ) نضيغُهُ» (جمال الدين، ١٩٩٥، ص ٣٢)، اللغة العامية والرمز الاجتماعي: باستخدام تعبير مثل "أتى زيدٌ" الذي يحمل طابعاً عامياً ومثل شعبياً (يشير إلى الشخص النشيط الذي يأتي بالخير أو يحل المشاكل)، ينتقل الشاعر إلى خطاب مباشر عن حال الأمة. كلمة "سَفَةً" (أي قشة أو شيء تافه) هي استعارة قاسية تصور عمر الإنسان والأمة على أنه هش وضعيف ولا قيمة له بذاته. التأكيد على الفعالية والمشاركة: المعنى العميق للبيت هو بيان عن ضرورة الفعل الاجتماعي والتعاون. إن حياة الفرد والأمة تضيق هباءً ("نضيغُهُ") إذا لم تكن قائمة على المشاركة الفعالة والبناء الجماعي، ممثلةً في فعل "أتى زيدٌ". هو نقد للعجز والتراخي والأناية الفردية، ودعوة ضمنية للعمل المشترك من أجل إنقاذ المجتمع ومدينته (بغداد) من الضياع. وفي الختام من خلال هذا التحليل التفصيلي للأبيات المختارة، يتجلى لنا مدى براعة مصطفى جمال الدين في نسج عالم شعري متماسك، حيث تخدم الأساليب البلاغية المتنوعة - من الاستعارة الموحية إلى التشبيه العميق، ومن الرمزية المتعددة الطبقات إلى النقد الساخر - غاية كبرى هي تشریح روح المكان والزمان. هذه الأبيات ليست منفصلة، بل تشكل نسيجاً واحداً يعبر عن رؤية الشاعر لبغداد والوجود الإنساني فيها. إنها مدينة تتجلى كحبيبة ساحرة، وكطبيعة مقدسة، وكمشروع روحي يحتاج للتطهير، وككيان مضطرب بين قيم أصيلة وأخرى مستوردة وزائفة، وكمحطة في نهر الحضارة العربية، وكمجتمع يحتضر دون عمل جماعي. بغداد في هذه الأبيات، كما في مجمل شعر جمال الدين، تتحول من موقع جغرافي إلى كون شعري كامل: رمز ثقافي وتاريخي يحمل في أحشائه كل تناقضات الحياة العربية الحديثة من أمل ويأس، حرب وسلم، تراث ومعاصرة، وفردية وجماعية. لقد استخدم الشاعر لغته كأداة تشریح وبناء في آن واحد، ليخلق من ألم المدينة وجمالها فناً خالداً يتحدث عن العراق وعن الإنسان في كل مكان.

الذاتة

في ختام هذا البحث، تم تسليط الضوء على تصوير بغداد في شعر مصطفى جمال الدين، وكيف أن الشاعر استخدم الأساليب الأدبية المتنوعة لخلق صورة معقدة وعاطفية للمدينة. من خلال تحليل الأبيات الشعرية، تبين أن جمال الدين لا يعامل بغداد فقط كمدينة جغرافية، بل كرمز ثقافي وروحي يعكس تاريخها المعقد والملئ بالصراعات، وألم الشعب العراقي. اعتمد الشاعر في رسم هذه الصورة على أساليب بلاغية مثل الاستعارة، التشبيه، والمجاز، التي جعلت من بغداد كائنًا حيًا يعبر عن معاناة الأمة ويجسد آمالها في ذات الوقت. أظهرت الدراسة كيف أن بغداد في شعر جمال الدين تمثل أكثر من مجرد مكان أو مدينة؛ فهي رمز للوطن والهوية الثقافية التي تأثرت بالحروب والدمار، لكنها في الوقت نفسه تبقى رمزًا للأمل والمقاومة. الأسلوب البلاغي الذي استخدمه الشاعر أضاف عمقًا لصورة المدينة، مما جعلها تمثل رمزية للأمة العراقية التي تتسم بالقدرة على النهوض رغم التحديات. تساهم هذه الدراسة في فهم دور الشعر في التعبير عن الواقع الاجتماعي والثقافي للأمة، وكيف أن الشاعر يمكنه من خلال تقنيات البلاغة أن يخلق صورًا شعرية تعكس معاناة المجتمع وآماله. كما توضح الدراسة قدرة الشعر على تقديم رسائل عن المقاومة والتجدد، وتؤكد على الأثر الكبير للأدب في تشكيل الذاكرة الثقافية للأمم.

المصادر

١. البصام، محمد سعيد، بغداد في الشعر العربي، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١.
٢. البصام، محمد سعيد، شعراء العراق في القرن العشرين، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.
٣. الحاكم، علي، الشعر المعاصر وصور المدن، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.
٤. جاسم، عبد القادر، الشعر العربي وبلاغته، دار الفكر العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.
٥. جمال الدين، مصطفى، الديوان، دار المورخ العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.
٦. درويش، محمود، الشعر والحروب، دار النشر العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧.
٧. سليم، حسين، المعاني البلاغية في شعر مصطفى جمال الدين، مكتبة الأدب العربي، العراق، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.
٨. عبد المعطي، أحمد، الشعر والحروب، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧.
٩. العبيدي، أحمد، الشعر العراقي في القرن العشرين، دار الرشيد للنشر، سوريا، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.
١٠. الكندي، علي، الرمزية في الشعر العربي، دار النشر المعرفي، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.
١١. منيف، عبد الرحمن، تاريخ الأدب العربي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، الطبعة الثانية، ٢٠١٨.
١٢. نصر، حسن، مفردات المجاز في الشعر العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، الطبعة الثانية، ٢٠١٧.
١٣. وهبي، مصطفى، الشعر العراقي المعاصر، دار العلوم للنشر، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٦.
١٤. قباني، نزار، المدينة في الشعر العربي، دار الرشيد للنشر، سوريا، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠١٥.
١٥. ثامر، فاضل، شعراء العراق في القرن العشرين، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٧.
١٦. ثامر، فاضل، الرمزية في الشعر العربي، دار الكتاب العربي، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٩.